

الثقافة

AL-THAQAFA

الطبعة : ٩ شارع الكرافيس مابدين - القاهرة - تليفون رقم : ٥٩٩٩٢
٥٧٧٦٩

الطبعة السادسة

الثلاثاء ٨ من المحرم سنة ١٣٦٣ - ٤ من يناير سنة ١٩٤٤

المعد ٣٦٢

فهرس المعد

| صفحة | صفحة |
|--|---|
| ١٤ : البعير المفقود ... : دكتور عبد الوهاب عزيم | ١ : كلمة ختمة في مشروع : (١٠٠٠) |
| ١٧ : سيرة سيف بن ذي يزن : د. فؤاد حسين ... | المدراس الريفية ... : (١٠٠٠) |
| ٢٠ : الجنون في مصر في العصور : د. محمد مصطفى زيادة | ٣ : مدحت باشا ... : الأستاذ أحمد أمين بك ... |
| ٢٢ : حول تقرير عمالي وزير : د. إلهام حسن عصب ... | ٧ : بالغ الصلابة الأسم الذي : دكتور أحمد زكي بك ... |
| ٢٤ : كيف النسيان ... : الأستاذ عبد العزيز الكرداني | ١٠ : الآثار المصرية القديمة : الأستاذ عزيم حاشي ... |

كلية مخصصة
ARCHIVE
في مشروع المدارس الريفية
http://archivebeta.com

منه في التلاميذ الإلزامي ، فهناك مبادئ عدة قد اعترفت بها
الخطوة الجديدة ، وهذا الاعتراف وحده يثبت إلى الاطمئنان
على سلامة الاتجاه الجديد .

التعليم في الخطوة الجديدة يتشمل اليوم كله ، والخطوة
الموضوعة تحتوي على الدراسات النظرية السكافية من لغة
ودين وحساب ورسم وصحة ورياضة بدنية .

وتشمل الخطوة كذلك الناحية العملية ، ففي المدرسة
الريفية الجديدة طرف من دراسة الفلاحة والنبات والحيوان
والصناعات المتعلقة بالزراعة في الحقل والدار ، والصناعات
المتعلقة بفلات الحقل والمناسبة ، وذلك كله يختلف باختلاف
سن التلاميذ واختلاف بيئة المدرسة .

وقد يثبت الخطوة فوق هذا أن نتجه دروس الدين
والحساب والأطوال والمساحات والتعاون ودروس الصحة
إلى الوجهة العملية .

أنيتحت لنا فرصة الاطلاع على الخطوة التي وضعها
الفقيون من رجال وزارة المعارف العمومية المدارس الريفية
المرجع إنشاءها ، كما أنيتحت لنا فرصة النظر في بعض النماذج
التي رسمت لإنفاذ تلك الخطوة . وقد كان ذلك جزءاً من خطة
الإصلاح الذي رصه معالي أحمد نجيب الهلال باشا في تقريره .
ونرى من واجبتنا أن نتجه بهذه الكلمة إلى معالي
الوزير مدفوعين برغبة ختمة في بلوغ تلك الأغراض التي
يحرص عليها معاليه ، كما يحرص عليها كل مخلص لشعب
هذه البلاد .

الخطوة الرسومة ، والنماذج التي فصلت الدراسة على
مقتضاها كلها سليمة ، ولا يتردد خير في أمور التعليم في
أنها قد درست دراسة فيها كل ما يتطلبه الرقي من
تحجيص ونظر دقيق ، ولا شك أن الخطوة في مجموعها
تمكن أن تعتبر جهوداً عملياً قوياً في سبيل إصلاح ما نشكو

هذا كله يدعو إلى أعظم الارتياح ، فإن في هذه الخطوة تحقيقاً لما نرجوه من توسعة الأفق التأميني ، وجعل الدراسة حصة يستطيع التلاميذ أن يجمعوها جزءاً من فكريهم إلى .

وتتضمن الخطوة فوق هذا أموراً لها أعظم الخطر في الدراسة ؛ فهناك ذكر لكتبة نشأت في المدرسة الريفية ، والأمل عظيم في أن تكون هذه الكتبة حقيقة يستطيع المدرس والتلميذ - معاً أن يستفيدا مما فيها . كما أن الخطوة دلالة على أن عدد حصص الدرس ستكون بحيث تترك له فسحة للتنفس والاطلاع ، فلا يبقى الحال كما هو عليه الآن ، إذ المدرس يعمل اليوم كله بلا انقطاع لا يجد فرصة للراحة ولا للاطلاع .

كل هذه حسنات ترى من الواجب التنويه بها والإشادة بفضل من رسموها

ولنا بعد ذلك كلمة خالصة وأبينا أن نتجه بها إلى أولى الأمور في وزارة المعارف فيما يخص من وضع نحو التعليم .

إذا نحن نظرنا في تفاصيل الخطوة واحدة ومواقع كثيرة نتفح عنها في شك وبرد . فهناك عدد الحصص المقررة لكل موضوع ، وهناك تفاصيل الموضوعات المختلفة في مقرراتها وفي إدماج بعضها في بعض ، وهناك الترابط بين المواد المختلفة فيما بينها والترابط بين جهود المشروعات العملية وجهود التعليم في الفصول ؛ ثم هناك موضوعات أهم ذكرها كالتاريخ والجغرافيا ، وأغلب الظن أنها أدمجت في المعلومات العامة التي قدر لها في الخطوة أن تصم إلى اللغة العربية . وهناك ما هو أهم من ذلك . كيف يستفاد بالمشروعات العملية في توسيع الثقافة العامة ؟ فالمشروعات العملية ليست مقصودة بذاتها لتدريب العملي وحده ، بل هي على الأكثر وسيلة من وسائل توسيع أفق المدارك . ولكن المنهج الذي وضع لها لا يحقق مثل هذا المقصد . فنحن بإزاء ذلك لا نرى بداً من أن نطالب إلى أولى

الأمر أن يجمروا أول خطوة في سبيل إنفاذ المشروع الجديد تلك الخطوة الطبيعية التي لاغنى عنها ، خطوة وضع المشروع موضع التجربة في نطاق سبق حتى يمكن بعد حين - سنتين أو ثلاث سنوات - أن شيق الموضوعات المحتاجة إلى التعديل .

فيقوم الفنيون بأنفسهم وإصلاحها . هذه هي الوسيلة التي نجعل المشروع حياً مرناً قابلاً للإصلاح والتعديل حتى يعلمنا أخيراً إلى صلاحه ويكون تميمه ممكناً بعد ذلك .

وأهم اعتبار يجملنا على هذا الطلب هو أن التعليم في المدارس الجديدة أساسه فهم الروح المقصودة من التعليم ، والتضيق بين الجهود العملية والجهود الدراسية داخل الفصول ؛ وهذا يتطلب تشرب الروح ، وفهم المقصود ، وإدخال المبدئين إلى لب الفكرة ، وتوجيههم إلى الطريق المؤدية إلى العاية المقصودة . وهذا لا يكون إلا مع البدء في نطاق سبق ، يكون فيه المشروع موضع الدراسة المستمرة والتحور والتعديل مع المراقبة لسير الأعمال من قريب .

نحن نطالب إلى أن أولى الأمر لا يبدأوا بالتجربة حتى يتحققوا من أن آلة الدراسة قد تم التنسيق بين أجزائها ، وأن الأيدي التي تحركها قد صارت على إدارتها . ونحن منذ الآن بما آتت إليه الإصلاحات السابقة في التعليم الأولي عندما بدأ في عهد علي طاق واسع قبل أن يتحقق أولو الأمر من صلاح النظام المقترح - فقد كانت تلك المشروعات القديمة على الورق صالحة لا تظهر فيها عيب ، ولكن الحقيقة لم تثبت بعد مضي الزمن أن ظهرت ، فلم الجميع أن التعليم الإلزامي لا يؤدي إلى المقصود منه ، وأنه لابد فيه من عدم الكثير قبل أن يؤخذ في البناء .

وليس من غفاهة في البدء وضع المشروع الجديد موضع التجربة لمدة معينة ، بل إن هذا هو السبيل الطبيعي . وأملنا عظيم في حرص معالي الوزير على تحقيق هذا الإصلاح الجليل ، أن يضع الأمر الذي تكفل له أن يكون إصلاحاً حقيقياً دائم الأثر .

رُحما، الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر :

٣ - مدحت باشا

هذا مدحت باشا في مرزقته - بفكر ، كل محاولته في الإصلاح ضاعت سدى لصالحا السلطان عبد العزيز الذي يأتي أن يسمع كلمة « الشورى ، والدستور ، والعدل ، والحرية ، والأمة » ؛ وكل من يطق بهذه الكلمات كان عرضة للنفي والتشريد ، والقتل والعزل كما حدث له .

« إن السب الوحيد لندم المسيحيين في الدولة هو فقدانهم الحرية ، فتي سُتحوها عطفوا على الدولة وشعروا أنهم جزء منها .

وسبب ضعف المسلمين هو فقدان الحرية ، فتي شعروا بحريتهم أقدموا على ملهملهم ، وتسلطوا ، وكسبوا ، وتعلموا ، واستخدموا ذكاهم ومواهبهم لإستغلالهم لأسيادهم .

وهيئتهم الاجتباءة ، وفقدان الجميع الحرية علؤهم خوقا ، وفقدانهم لثقتهم ، وبغلتهم بأخلاق العبيد : من ذلة وضعة ، وعدم الالتفات إلا إلى المأككل واللبس بئالونه من أخس الملقق . وليس الذي وقفتا فيه من طبيعة الإسلام في شيء ، فالإسلام يسوئ بين النعمي والفقير في الحقوق والواجبات ، وبين الوزير وراعي الغنم ، ويجعل أمرهم بينهم شوري ؛ وهذا السلطان يكره كلمة الشورى كما يكره الموت . والإسلام جعل من أم قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وهذا السلطان لا يسمح لأحد أن يأمر بمعروف ولا أن ينهي عن منكر . إن الشورى الإسلامية نظمت في العصر الحديث بما يسميه الأوروبيون البرلمان ؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشكّل في المدينة الحديثة بحرية الصحافة في النقد ، وحرية الأفراد والجماعات في التأليف وإبداء الآراء في صراحة ، يستحسنون ما يرون ، ويستنكرون ما يرون ،

ويتخطون كما يشاءون . فلا أحد معصوم ، ولا الحكومة معصومة ، ولا الوالي معصوم ؛ وإنما الذي يقوّمهم ويخففهم ويلزهم الحادة بغلة الرأي العام وحرية في النقد ، وهذا هو ماسي في القرآن : بالتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر . كل هذا واضح وجلي ولابد منه ، ولكن لإرادة السلطان عبد العزيز هي الصخرة التي تنكسر عندها كل هذه الآراء ، أرض الدولة العثمانية أخضت أرض في العالم ، وهي مع ذلك أفقر أرض لحجرة كثير من أهلها بالظلم ، وإنتقال كاهل من يق بالضرائب ، ولا شركات ، ولا مصانع ؛ فالظلم كثير في البلاد ، ومع هذا فالأقشة القطنية تحمل من أوروبا ، حتى الطرايش التي نضعها على رؤوسنا ، وعلب السكرت التي تشعل به ييرانا نجمله من الخارج . وكل المواد الأساسية متوفرة عنده ؛ ولكن لاعدل ، ولا أمن على المال ؛ فلا شركات ولا صناعات ، ولا بقاى العدل إلا بالقوانين العادلة ، والمحاكم العادلة ، وهذه لا تكون إلا بغيره ، أي المستور . كل من جاهر بالإصلاح أبعد ؛ ففؤاد باشا مات مهقرا مبيعا ، وعلى باشا دُست له المساس حتى عزل من مناصبه ، وهما ما هما في السكافة والاستقامة ؛ وإنما يقرب أمثال محمود نديم الشره الجاهل الذي يقدم مال الدولة للسلطان ، ثم ينهب لنفسه ما ناله يده .

رحم الله فؤاد باشا . وعلى باشا فقد رأيا أن السلطان لا يسمع لقولهما في الإصلاح ، ففسكرا في حيلة لطيفة أن يشوقا السلطان لزيارة أوروبا ، ويتنجزا فرصة زيارته للمواضع الأوروبية فيبيننا له ما وصلت إليه من النظام والتقدم ، ويشعراه من طرف حتى بأن سبب هذا كله حسن الإدارة وملاحية الحكم ، لعله إذا عاد حفزت نفسه لحسن التقليد فأصمى إلى المصلحين وشجعهم على الإصلاح ، وسار في أموره غير سيرته ، والتفت إلى رعيته ؛ ولكن خاب فألها فقد عاد أشد إسرافا ، وأكثر تنذرا في ملاذاته . عاد ووعدهم أخلف ما واعد ؛ وكل ما فعل أن حقد عليها لأنهاما أثارا

الحال ويتفق معه في الرأي حسين عوني باشا (مرعسكر الدولة)، وهما يتصلان بنظر البحرية وشيخ الإسلام، ويتفق الجميع على خلع عبد العزيز في يوم معين. حتى إذا جاء اليوم أتى الأسطول فرسا أمام سراي طويلة بنجعة، واجتمعت المساكين فأحاطت بالقصر، ودخل على السلطان من أبلغه خبر العزل، فاستخف بهذا الخبر فأشبهوه المعسكر والأساطيل والجوع الهندية فاستسمر، وأزكوه من السراي، ووضعوه في قصر والده ومعه ثلثائة أنثى بين زوجات وجوار محركات ووصيفات وخادمات، واخضروا حاشيته فاستنفوا عن ١٢٠٠ سائس و ١٠٠٠ ملسكار (حامل طليبات الطعام) و ٦٠٠ قواري وأمثالهم من الخدم، وقطعت مرتباتهم للثلاثة التالية التي حلت بالهولة. وبعد بضعة أيام وجد السلطان مقتولا، فقبله قبل، و يرى الآكثرون، ويقرر الأطباء المديدون وبذلك ذلك مدحت، أن السلطان أخذته العزة فقطع شريانا من له العذرا من فأت من ذلك.

ومما كان قد بوع السلطان مراد، فلم تحض عليه أيام حتى ظهر جنوبه وأخطط عقله، فوئى السلطان عبد الحميد بعد ثلاثة أشهر، وحل عيه هذه الأحداث القفلية والريكة الشقية؛ وهو في أثناء مرض السلطان مراد مجتمع بأعوانه ويدرس قوانين أوروبا وعلمها ويختار أنسها.

وكان في ذلك يضع إحدى عليه على التعلم الأوروبية والأخرى على حالة الدولة، فأكل ما يصلح لأوروبا بصلح لها، وفي ذلك يقول: «إن أخذ القانون من أوروبا ووضعنا لنا لأنه أقدم بشه أخذ آله من الآلات عديم للتسيج وجلبها إلى بلادنا وليس عندنا فرد بقدر على إدارتها والاستفادة من معرفتها».

«وقصلا عن ذلك فكثير من القوانين لا يوافق كل الولايات في دولتنا؛ فالقانون الذي يوافق ولايات حلب وسوريا ويندأ لا يوافق ولايات روسه وأزمير وأدرنة؛ وقد يكون القانون في بعض الولايات عدلا، وفي بعضها

عليه بانتخاب مجلس في كل ولاية بمجده كل سنة لمشاركة الوالي في أعماله، وينزل التصح له، فرائى أنها فكرة شيطانية وراد منها التدرج إلى البرلمان أو الدستور، ذلك الشبح الخيف. وكل ما جنته البلاد من هذه الرحلة إفاشاء مصانع ومناجمهم خزائنه الخاصة لا يأمم الشعب، ثم هذا السلطان يستدين ويستدين؛ فقد كانت ديون الدولة في آخر أيام السلطان عدد المجيد ٢٥ مليون ليرة فبالت بعد ١٢ سنة بفضل عبد العزيز ٢٥٠ مليون ليرة، فما مصير الدولة إذا استمر الحال على هذا المثال؟! يظهر أن لأمل في الإصلاح مع وجود «عبدالعزيز» بل لا أمل حتى ولو أصدر لوائح الإصلاح، وأوامر إنشاء القوانين الدعاكم والنظم للدراس، فقد جرياء فرأينا بطاطي العاصفة حتى نمر، فإذا صرحت عاد سيرة الأولى، وحصل ما عهد ونقص ما أؤرم.

لم يبق إلا أمر واحد، وهو نهضة النفوس لعزله، ووضع الخطط المحكمة لآثره عن عرشه ومع الأسف لا يمكن أن يتم ذلك إلا بالجنين، وفي هذا خطورة، ولكن قد تعذرت في جامع الفاضح أن الضرورات تبيح المحظورات.

فإذا تمت الأمور وعزل عبد العزيز، وأقيم مكانه سلطان جديد أقامته الأمة بقومها، وأعلن يوم توليته الدستور، شعر بأن الأمر بيد الأمة فأطاعها، وأنه مدبر لعرضه بالدستور فأحترمه وسارت الأمور سيرا حسنا؛ دستور نافذ، وسلطان مطيع؛ وبدأنا حياة جديد كلها خير على الأمة، وسرنا في الطريق الذي سارت فيه الأمم الحية نأخذ بحاسنهم، ونستجنب أخطأهم، فإذا الحياة سعيدة، والعمل شامل، والدستور حام. فلنسر في بركة الله.

هكذا فكثير مدحت، وهو يشرف على الإصلاح في مشرعته، والنفوس تضرب في الأرض، والنواصب تيك بدموع غرارا.

سارت الأمور أول الأمر كما فكرك تماما. فلها هو بذور الحركة ويصل بالشان والتبويخ الذين شتموا هذه

هذا الدستور حقوق الدولة وواجبات الوزراء ورجال الإدارة ، واختصاص كل مجلس من المجلسين ، وتنظيم الحكم والدوران المالي والسالية الخ ، وكل الدلائل تشر بالخير . هذا مدحت أبو الدستور رئيس الوزارة ، وهذا السلطان عبد الحميد أتى بإرادة الأمة وهو مدبر لها بحلوسه على العرش ، مدحت يؤيده ، وهو يؤيد مدحت ، والسكن يخضع للنظام والحكم الديمقراطي ، فإذا ينتظر بعد ذلك إلا الخير !!

هكذا قال الناس ، وهكذا قال مدحت .

لهم أخطأ إذ بالغ في التفاؤل أكثر مما يقرم ، وكذلك أكثر عظماء الرجال تحرم التفكير ، ويحب بلهم المبدأ فلا يرون منه إلا الدواحي البراقة ، كالفنان يرى في شجرة البودرة أزهارها ولا يرى أشواكها . استخف بقوة الرجعيين ، ولم يعرف اظهاره أساليب دسائسهم ، واقتنع بالقسمة على وجوههم ، ولم ينفذ منها إلى النيل في أحماق مدبريهم ولم يقد قوة العدو العبد الذي كان يغتني من الظلم ويستغنى بالعدل ؟ والذي كان يقرى من كفة ملق أو تسود سطر وشاة فأصبح خائفا من العدل أن يجرده من تراثه وينزله من جاهه ؟ والذين يشرون أنفسهم بالخط لأشهم فقدوا أن ينالوا شيئا يبذل الجهد .

وقى آخر هام فاته ، وهو أن من عاش طويلا في ظل الصودية لا يتعلم من مزايا الحرية ، وأن الأمم السابقة إلى النظم الديمقراطية لاقت الأحوال قبل أن تمتد ، وتأرجحت كثيرا قبل أن تنوسط ، والذي نفعها أنها لم يكن يقطع فيها طامع ، فقصت مدة التجربة وهي آمنة مطمئنة ؛ أما هذه الدولة فلا ينتظر مدة تجربتها أحد ، فإذا بدأت تجرب قالوا لا تصلح ، وإذا أخطأت لم يقولوا إنه عرجى مفارق بل قالوا طابع ملازم .

فهذا مجلس المبعوثان يجتمع فيستعطف بعض أعضائه في القول من غير حساب حتى يثير بأقواله مشا كل ومخاوف ما كان أغنامها عنها ، وكل ولاية تظن أن مبعوثيها نائب

علما ، فيجب النظر إلى هذه المسألة عند تغيير القوانين . وإن مسألة استقلال الحكم ، وأصول جباية الأموال ، وقوانين الإدارة وغير هاتين القوانين والنظامات ، قد استعملها الإفرنج فأقادتهم بسبب رقى الأهالي وتمدنهم ؛ فقانون الأراضي مثلا يقضى علينا بتعيين المهندسين ، ومعرفة مقادير أراضي بلادنا وأصحابها ووضع الضرائب اللازمة ، وهذا لا يتم بواسطة كاتب واحد يتقاضى ١٥٠ قرشا في الشهر ، فالإفرنج يعينون لكل قرية لجنا ومهندسين بمسحون الأراضي ويقضون الضرائب ، ونحن لا نعرف اليوم عدد سكان بلادنا ولا مقدار أراضيها .

« فيجب تدريب الرجال وإلقاء أرومة الأمور إليهم بالتدرج ... كما يجب تخصيص الأعمال لكل طائفة ؛ ففي أوروبا المالية اختصاصها ، والحرية اختصاصها ، وكذلك للأخيلية والعدل ، أما عندنا فالأمور كلها متولدة بالوالي » . وهكذا عكف هو وأمواله على هذا الإصلاح الذي يتلخص في اختيار خير النظم الأوروبية وتطبيقها في بلادنا الدولة الاجتماعية ، والأخذ بيدها تدريجا حتى ألفت حيلولة انتقل بها إلى ما بعدها .

ويعد القانون الأساسي للدولة ورتب نظام مجلس المبعوثان فما وكل السلطان عبد الحميد حتى كان ذلك كله معدا ، وتولى مدحت باشا الصدارة . وبعد أربعة أيام من صدارته بادر السلطان إلى إقرار القوانين ، وأعلن الدستور المؤسس على الشورى ، والمؤسس على اشتراك جميع الرعايا في شؤون تحسين الدولة من غير تفرقة بين منصر ودين ؛ وأُنظم للدولة مجلسان : مجلس ينتخب من الأهالي ويسمى مجلس المبعوثان ، ومجلس تعين الدولة أعضاءه ، ويسمى مجلس الأعيان . وتلى هذا الدستور المشتعل على ١١٩ مادة بالاستئذنة في حفل عام (١٤ من ذي الحجة سنة ١٢٩٣ هـ) ، وأمر بأن يكون العمل بمقتضاها في جميع أنحاء المملكة عثمانية ، وأطلقت المدافع من القلاع البرية والبحرية ، واستنشر الناس خيرا ، وأقيمت الأفراح والعيال للراح . وكان يضم

وفيا هو كذلك سلم إليه أحد رجال المابين خطاها فتجده يقرأه ، فإذا فيه عزله وإبعاده إلى خارج الدولة قورا من غير أن يبرأ على أهله ، وذلك بعد شهرين من صدورته . فألح مدحت على رجل المابين أن تراجع السلطان في بيان السبب ؛ فقام وقال إن السلطان يقول إن المادة ١١٣ من الدستور تحول السلطان حق إبعاد الذين ترى نظارة الضابطة سوء حالهم ، وقد قدم ناظر الضابطة إلى جلالة السلطان تقريرين وقع عليهما وهما هذان . ففتح مدحت أحدهما فإذا فيه : « أن جاسوساً سمع ضابطا يقول لصاحبه في إحدى القسامي إن مدحت سيكون رئيس جمهورية » فأكثف مدحت بهذا ولم يفتح الثاني ، وقال : « إن بلادي الثمينة كمرضى خضره تطلس الأطباء ، وزعالجوه حتى كاد يهلك من صرته ، فليس عدو له فسقاء مما قضى على حياته » وصرخ بالأمر وركب الباخرة « عني الدين » اتوه من غير أن يرى أهله .

وكان السلطان من الرأي العام ، فطلعت الجرائد ومنهم من سماه « الجوانب » ترى مدحت بأفطاح السهم ، هذه تقول إنه ضابط أوراق تدل على خيانتته ، وهذه تقول إنه أراد أن يجعلها جمهورية ، وهذه تقول إنه قد أوقع الدولة في مشاكل خطيرة ؛ وأدى الشعر رسالته ، وأنشئت فيه قصائد هجاء بليغة ، وأظهر كثير من المممين ابتهاجهم وقالوا إنه يريد فصل السلطة الدينية عن السلطة الدينية — والذي يقارن بين الجرائد منذ أربعة أيام وبينها اليوم يعجب لهذا الانقلاب الغريب من مدح رنان إلى هجاء رنان . وسكت الناس بين الدهشة والمعجب ، والشك واليقين ؛ وشرد رجال مدحت من أخلصوا له ولما بدته . ووسط هذه البلبلة الفكرية صدر الأمر الشاهاني بتعطيل الدستور تعطيلاً مؤقتاً ، ولكن ألا تعرف — أيها القاريء الكريم — مدة هذا التعطيل الوقت ؟ ثلاثون سنة !! لم يكن الرأي العام حذراً فحذراً ، ولا عاقلاً فحذراً ، ولا قوياً فأمهين .

عنها لا غير وليس ثانياً عن الأمة ، وأن عليهم أن ينفذوا جميع رغائبها ولو كانت غير عادلة ، ولو كانت لا تنفع ومصالحة الدولة من حيث هي كل ؛ ويجعل البريد إلى كل مبعوث ما يتو ، يفتحه بله قراءة ؛ هذا يطلب عزل خصمه وتوليته بدله ، وهذا يلتصق رتبة وبيشانا ، وهذا راغب في وظيفة ، وهذا راغب في ترقية ، حتى بلغ الحال أن مكاريا سرق دابته فمعت إلى مبعوث ولا يشته أن يأمر بإعادتها إليه .

وربما كان هذا طبيعياً والنظام جديد ، والجهل متديداً ولا بد من فترة يمر بفهم فيها أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة ، وأن مبعوث الولاية نائب الأمة أولاً وولاية ثانياً ، وأنه كلما خفت أخوية مطالبهم زادوه مقدرة على رفع أمتهم ؛ ولكن أنى لهم عن يسير على سخافتهم ، ويفسح الصدر لمرآتهم ، والأعداء ككثيرين في الداخل والخارج وهم لم يلزموا ؟!

وزاد الأمر سوءاً أن الروس والفرنسيين لم يرضوا بهذا الحال ، فاحتجت على ذلك وتأخرت في الاعتراف بالنظام الجديد ، واعتابت البلقان مفر كركته ، وأثارت القوراسل الحكة ، فتوردة في الصرب ، وثورة في الجبل الأسود واليوغنة والمهرسك ، والحروب قائمة ، وانتصارات الدولة لا تعيدها عند الدول ، وانتصارات عدوها بعيدة . والدولة فقيرة في المال بما أسرف عبد العزيز ، وفقيرة في رؤساء القواد فقد قتل حسين عوني باشا وغيره معه بيد أئمة ، وروسيا تريد فصل البلقان عن الدولة ، واسكل دولة مطامع ؛ ومدحت يتحمل كل هذه الأعباء الداخلية والخارجية في صبر عجيب ، فتأخره في تنظيم الشؤون الداخلية ، ولبله في الشاكل الخارجية ، وفي ذلك يقول : « تحملت من المتاعب من يوم جلوس السلطان مراد ما يفوق القدرة البشرية ، وكنت أقول ليست هذه الحياة لي بل للأمة ، وقد وقع الوطن في مصائب داخلية وخارجية ؛ فواجب أن أسعى في تخليصه من محالها » .

مطالعات أشتات :

بائع الصحف الأصم

الذي أعطاني وأعطاك النور

للكاتب أحمد زكي بك

والده من قبل وصاق به حبيه : فعمل يجمع به الرجايات ،
ويضع فيه الكماويات ، ويرسم على بطاقتها الجاحم والمظالم
النصالية ، ويرسمها بالحق والباطل ، ترهيبا وإنذارا
حتى لا تعسب يدٌ وخيلة عاثة . شاقه هذا العمل المزلق
القديم ، فأراد أن يؤلفه من جديد في دكن من أركان
تلك العربة ، حيث يضع ما يبيع من كتب ، وما يبيع
من صفح . حتى إذا وقع هذا الحريق ، كان وقوعه سيئا
في اختفاء هذا العمل الثقيل وإنهائه ، وانتهت به غبطة
كان يجدها هذا اليافع حتى في محض تقليبه ما فيه وترتيبه .
كان هذا الغلام بائع صفح . ولكن بيع الصحف
لا يستغرق كل وقته . ففي القطار قراغ . وفيها بين القطار
غاديا ورائحا ، فراغ كذلك . وفي مدينة ترزوا ، حيث
يتجر مطافه رحبا ، مكتبة عامة بالكتب طامرة ، وإذن راح
هذا الصبي إلى هذه الكتب يقرأ فيها في مهم واستيعاب .
وخطر في باله أنه إذا بيع الصحف التي يكتبها غيره ،
وإذا عمل الشيء يقول أبدأ بنفسك ، فقال أن يكتب
هو صحيفة أسبوعية بيدها . . وماذا يكتب فيها ؟ يكتب
ما يسمع من أهل هذه النواحي من أخبار . ولئن بيدها ؟
لرغب هذه القطار وما تقف عليه من بلدان صغيرة ،
يجب لاشك أهلها أن يسمعوها عن أنفسهم وعن جيرانهم
كل شائعة شائقة ونادرة . وأين طبعها ومن طبعها ؟
طبعها هو غيبه في ذلك المكان من العربة التي اختصوه
بعضها ليحمل فيه بضاعته .

وقد تحسب أنه لابد درس دراسة شديدة متواصلة
في قعر مدرسة حتى يستطيع أن تنكشف رغائبه عن حب
معمل ، أو تفسر بده على كتابة صحيفة . فإمنا نتحدث
عن غلام بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ولا يمكن أن
يكون اتسع عمره لذلك . واعلم أيضا أنه لم يذهب قبل
ذلك إلى مدرسة ، غير ثلاثة أشهر ، ضج مدرسة في
نهايتها من قصور عقله ، أو ما حسبه فيه قصورا ، فصاح

قام القطار من بلدة برت هيرون Port Heron ،
وسار يقطع الطريق منها إلى بلدة دترويت Detroit .
وكثرت البلدتين بالولايات المتحدة عند الحدود الكندية .
حتى إذا بلغ القطار منعقلا لم يحسن الرجال إصلاحه ،
أرجح ، فأرجحت بارتحاجة عربة في القطار . ولم يحض على
ارتجاج هذه العربة زمن طويل حتى اندلع النيران فيها .
فجرى إليها الحارس ومن معه ، وبعد جهد ألقوا فيها
الديران . ثم وقعت عين الحارس بين الجمع على غلام في الخامسة
عشرة من عمره ، فسك أدنه سكينة أعجته لم يلم يفرقه
حتى قامه الرابع والخامس .

كان هذا الغلام صاحب عود القصور الذي انكفأت
رجاجته بارتحاج العربة ، فلم يكده هذا العود أن يتجر من
رجاجته ومن مائها ، فيتعرض للهواء ، حتى دخن ،
فاحتر ، فاشتعل ، فالتهب وألهب مما حوله كل ما يصلح
طامما للنار .

وكيف تأتني لهذا الصبي أن يكون صاحب
هذا العود ؟

تأتني له ذلك بأنه كان يبيع الجرائد والمجلات على
القطارات بين هاتين البلدتين . وكان له ذلك بتصریح
رحي ، طلبه ، وأعطى إياه ، وهو في الثانية عشرة من
عمره . وإذن فقد أعطوه مكانا في القطار ، في عربة
الحارس يضع فيه أحماله من تلك الصحف والكتب .
فلما استقر في مناعته هذه ، شاقه ما كان ضاق به بيت

وصراً عام خلق الغلام فتته الحديد . ومن هذا العام تقلب في وظائف التجار ، وتنقل في المدن . ولم يشغله فتته الآلى عن استطلاع ما خفي وراءه . فظل يدرس ، وطل يجرب وينقب . حدث مرة أنه كان في بلدة عند الحدود . فكانت ترسل له الحطة التي في الجانب الآخر رسالة تجارية كل ساعة ، تقطع مددودة ليرد عليها بقط مثلاً ، دليلاً على أنه صاحب يقطان . وكان من كثرة عمله التجريبي غير الرسمى ، يأخذ النوم . خشية أن يكشف أمره ابتدع حيلة ذات أسنان ، ربطها بساعة ، وربطها كلها بألة الإرسال . فكانت كلما دقت دقات الرية في مكتبه أجاها تلك المعلقة بحايط خاظر الرائيين . ولكن حدث أن دقت الدقات في غير تمام الساعات فلم

يأبهى عنها الجواب . فخلعهم ذلك حيلة . ولكن صاحبنا اكتشف أمره أخيراً فاقضض اقتضاضه لا شك . فكانت حيلة .
وما يتعلم في تلك الحيلة جيل كهرتية تقتل ما في مكتبه من سر وأسر .

وأراد أن يضع الساعة بعلمه ، فما كان أخيه . لقد فاته أن يتعلم أن السياسة والعلم لا يجتران . في زمنه ذلك وفي كل الأزمان . فانه ذلك في سن الحادية والعشرين ، وهي سن غيرة أمثلة . وقصة ذلك أنه حضر مجلس النواب ، ورأى كيف يضيّع النواب كثيراً من الوقت في التصويت فرداً فرداً . فابتدع بدعة تسجل الأصوات فتوفر هذا الوقت الضائع . وتجراً وذهب بها إلى رجل السلطة في البرلمان ، فاستمع له الرجل الكريم ، ثم أبتم . ثم قال : يا عزيزي الغير الطريف ، إذا استطعت أن تنتدع لنا بدعة تعطيل لنا وقت التصويت فوق ما هو طائل ، فاقبل . إن الزمن ليس هنا من مكاسينا ، ولكن من مكاسينا أن نعرف تشاريع إذا هي فالت سريعاً فمرت بنا ضرراً بليغاً .

به يا فاطر العقل . فمر هذا النداء على أمه ، وحشيت عاقبته على أنها وحيدتها ، فحجزته في البيت لعلمه هي الكتابة والقراءة . وكانت مدرسة من قبل . فسلطته الخط ، فكانت خطاً جيلاً . وعلته القراءة ، وعلته كيف يقرأ الكتب وحده ، وكيف يستخلص منها نفسه أنفع ما يمكن استخلاصه . حتى قال بعضهم إن تلك السببة الأولى التي سبها لياه مدرسة الأول ، والآخر ، كانت عليه أمة وركة . وأنه لولا أن أخرجه هذه الثالثة من هذه المدرسة ، لبقى فيها ، فاطنح في ذلك القالب الذي يتطبع فيه كل تعبد ، ولكان كبعض تلك الأشياء التي تخرجها المساع بالآلات ، فلا يتميز فيها قياس عن قياس أو حذاء عن حذاء .

إن المصادفات تلعب الألعاب ، والألعاب في حياة الرجال . وما أكثر ما لعبت في حياة هذا الطفل . فالسببة الأولى التي سبها الأستاذ لياه مصادفة أولى . وأن كتبت تلك الأم المدرسة الحنون المائلة مسروقة ثانية . ثم مصادفة ثانية فتحت له الباب يقينا إلى تلك الحياة التي تقاطعت في سجل التاريخ صفحات ليست بأقلية عدداً ، ولا بالقليلة خطراً . تلك أنه كان يوماً في إحدى المحطات ، في تلوفاته يبيع الصحف ، فسأفتته عربة انصلت عن قطارها وجرت تسوي إلى حيث كان طفل يلعب . فادرك غلامنا ما رأى حتى أعطى للربح سابقه ، واخطف الطفل ، ونجا به بنفسه في آخر ثانية ، وكان أبو الطفل تجارياً ، فأثر في نفسه ما صنع الغلام ، ففرض عليه أن يعلم فتته . فرضى ، وترك عملاً فيه رزق غير قليل ، إلى دراسة لارزق فيها ، ولكن فيها اشتاؤه ، وفيها اشتفاء نفسه من علم تلك الأبرار التي أخذت تناوشه مخبأها في ذلك السن الباكر .

كان هذا عام ١٨٦٢ ، وكان الغلام في الخامسة عشرة من عمره .

نعم هو هو بائع الصحف الأصم ، الذي لم يتحقق في مدرسة ، وإنما استقى درة التصم من ثدى أمه أولاً ، ثم من أئداء الحياة ، واستفاد منها خلواً مرماً ، ومُحراً بصراً .
وانصرف بعد التلفون إلى الصوت يدرس أمواجه ويتدع الأجهزة لتحليلها . حتى جاء يوم أتم فيه هو ورجاله صنع جهاز غريب ، غشى في بوق فيه وهو بدور أغنية للأطفال تنهية — « كان لريم خروف صغير » — ثم سكك الفنى وأسكت الجهاز ، ثم أداره ، فإذا بهذا الجهاز ، وهو من معدن أصم ، يغنى : « كان لريم خروف صغير » .
هبت رجال إدسن ، وهبت معهم العالم . فقد كان هذا أول حائل لصوت إنسان . وأصماء فونوغرافا ، وأصمياء هكذا من ورائه .

ثم أنجبه هذا الرجل القشيب إلى الضوء والإضاءة . وكان أقصى ما وصلت إليه الإضاءة بالكهرباء مصباح القوس المزدوج من الفحم يتقارب طرفاهما ولا يتأسان ، تحرى الكهرباء عينا بينهما وتحمل معها من أحد الطرفين جسيمات الفحم حارة متقدة ، فينبعث بانقداها الضياء . وهو ضياء بعشى العين . وله في الأذن طنين . وهو مما لا تستطيع أن تأخذه رشفاً ، ولكن عينا وبرحكك . قال إدسن : إن كان هذا الضوء من جسيمات لحم تحترق قضى ، فلم لا تحرى الكهرباء في خط من الفحم رفيع متعل ، فيحترق هو كذلك ، ويتوهج . ولكن الفحم يحترق في الهواء . وإذا وضع خيط الفحم في وعاء من زجاج يفرغ منه الهواء . وصنع الخيط أولاً من خيط قطن ناعم . وبعد جهاد طويل ، وبعد نفقة بلغت أربعين ألف ريال ، أخرج إدسن في معمله الشهير — معمل منلو بارك — أول مصباح كهربائي ، كهذا الذي أكتب المشية في ضيائه . وأضاء هذا الضباح أربعين ساعة . كان اختراعا وليدا لا بد من نقذته ونشئته وتربيته ،

وبلغ الثانية والعشرون ، فاعتزم أن يودع منصب التلفزيون ، وأن يصطب نفسه في السوق « مهندساً ميكانيكياً كهربائياً » . ودخل إلى نيويورك فارغ الحبيب . ولكنه ما لبث أن شق طريقه ، فلم يمض سنتان حتى كانت له ورشة ، وله رجال يصنعون شتى الأشياء من كهربائية وميكانيكية مما يحال هو ويتدع . وكان أحسن ما ابتدع في هذه الفترة التلفزيون الرأى . وتفسيره أنه تلفراف ذو سلك واحد ، ولكن عليه ترسل أربع إشارات مختلفة في وقت واحد . وأراد أن يبيعه لشركة . فاشترط عليه رئيس كهربائها أنه لن يتصح الشركة بالشراء حتى يكون اسمه إلى جانب اسمه شريكين في اختراعه . فقبل صاحبها أن يبيع من نفسه بالكذب . قال في ذلك : « قد كنت أخرج إلى اللال متى إلى المجد ، وكان الرجل على ما أظن أخرج إلى المجد منه إلى اللال ، فتوافقا » .

وترك الأشياء التلفزيونية ، وانصرف إلى الأجهزة التلفزيونية . وكان « جراهام بيل » Graham Bell « المسمى التلفزيون » إلا أنه كان تلفرافاً ضعيفاً يمتد في الأغلب على المنطسية في حل آثار الصوت ، لهذا كان مداه قصيراً . فعمد صاحبنا إلى دراسته ، فأدخل فيه الكهرباء أساساً لنقل الصوت ، ووضع وراء القرص من الساعة حبات من لحم تنضط تارة ، وتنخلخل تارة ، كما تذبذب القرص مناعة للصوت ، فتضعيف تيار الكهرباء فيها وتريد ، وينقل كل هذا إلى مسافات لا تحده من مداها إلا قوة التيار . وبهذا ، وبأشياء أخرى ابتدعها فيه ، أمكن التلفزيون أن يكون له شأن شامل في حياة الناس .

كان هذا أول عمل ذي خطر تألق به نجم إدسن ، وأخذ يشهر به معمله في « مينلو بارك » .
نعم إنه إدسن هذا الذي ترجم له — توماس إدسن Thomas Edson — فلم يمدد بعد الذي قبلناه فيه من خفاء .

الآثار المصرية القديمة

لم لا تغالب مصر ألمانيا وإيطاليا واليابان - بعد
ماتت الحرب أوزارها - برد جميع الآثار المصرية
القديمة الموجودة في متحف برلين ، وفي متاحف سائر
المدن الألمانية ؛ وفي متحف روما وفي متاحف سائر المدن
الإيطالية ؛ وفي متحف طوكيو وفي متاحف سائر المدن
اليابانية ، جزاء واقفا لما أصابتها من أضرار جسام في النفس
وفي المال ونحن آمنون مطمئنون في بلادنا لم نعتد على أحد
ولم نتعثرش بأحد ؟ ولا سيما أن معظم هذه الآثار
تسربت إلى أوروبا وغرب أوروبا من غير الطريق الحلال .
إذا ردت بضاعتنا إلينا يصبح المتحف المصري أعظم
متحف للآثار المصرية في العالم كله .

في متاحف ألمانيا وإيطاليا واليابان آثار ومجموعة من

قيمة فنية وتاريخية عظيمة جداً، منها سلات ومصاطب،
وموميات وتواويس وتوايت وجعارين وأحجار كريمة —
من ذهب وقصه وزبرجد — ومجوهرات ومصوغات
ومحلى ذهبية وقصية، وأقنعة وأوراق بردي، ومخطوطات
ولوحات أثرية قديمة عليها نقوش هيروغليبية وإغريقية
ورومانية وعربية، تُحدثك عن درجة مابلغة قدماء المصريين
في العلوم والفنون : في الطب والجراحة والتشريح
والتحنيط والهندسة والكيمياء والطبيعة والفلك والتقنة
(حتى الوقت عرفت) والفلسفة والأدب والموسيقى
والشعر والأغاني والرقص والري والتجارة والزراعة
والإصلاح والنقش والتجديد والحراطة والرسم والتصوير
والغزل والنسيج وصناعة الأسيطة والصباغة والصباغة
وصناعة الزجاج والورق والخزف والمعادن والروائح العطرية
والخناج والكحل والنبات واستخراج المعادن والأحجار
الكريمة. وقد بلغت درجة الرقي عند قدماء المصريين أنه

فقام إدسون ورجاله على كل هذا . وكان وزا المصباح
مصادر الكهرباء ، وشبكات التوزيع ، والمحابس والمفاتيح ،
ومئات من كل هذه الأشياء ، التي نبهوا لنا اليوم لأفئتنا إياها
قصيرة ! ولكن كان لابد عند ذلك من خالقها ، والخلق سبب
اليوم . حتى كان عام ١٨٨٢ - أي منذ ستين عاما -
أنشأت « شركة إدسون » أول محطة للإضاءة بالكهرباء .
عرفها الخلق . أنشأتها في لندن . ولبن يعرف لندن أقول
إنها أنشأتها عند نهاية ذلك الشارع العلويل ، شارع « هووكن
Holborn » ، أو على الأسح عند Viaduct . وأنشأتها

وبلغ الرجل السبعين فالتأين ، وهو نائبٌ يعمل .
وامتدَّت صحته بقية عام ١٩٢٩ ، ومات في أول
أغسطس عام ١٩٣١ .

احمد زکی

سنة ١٩١٣) فيها قامت بأعمال الحفر والتنقيب في مقابر الملوك ، ففُتحت على قبر يدعى الملكة نفرتي زوجة رمسيس الثاني ؛ كما فُتحت على آثار كثيرة في دير المدينة منها مقابر خاي وماي . ثم انتقلت إلى المنطقة المحيطة بأهرامات الحفرة ومدافن الأنثونيين وأسيوط وأسوان والجبلين والحامدية وقو وهليوبوليس ، جمعت منها آثاراً كثيرة فترتب جزء عظيم منها إلى إيطاليا ، وفي متحف تورينو كذلك مجموعة من أوراق البردي ، وهي من الآثار التي جمعها مسيو دروفيتي من مدينة الأقصر ، واشترأها منه ملك إيطاليا كارلو إيمانويل الثالث في سنة ١٨٤٤ . كما أن فيه أيضاً مجموعة الدكتور دوتافي العالم الأخرى الإيطالي المشهور .

وفي متحف نابولي آثار مصرية قديمة منها كتاب النونى من عهد الأسرة الفرعونية الثامنة عشرة . كما توجد فيه مجموعة آثار متحف بوجيا .

وتوجد في متاحف ميلانو وبولونيا وفلورنسا أقسام خاصة لأثاث قدماء المصريين ، وأقسام القوميات ، وأقسام الآثار الإغريقية ، وأقسام النقوشات والكتابات المصرية القديمة ، وأقسام الفن الإفريقي الإسكندري ، وأقسام المقابر ، وأقسام لمزيات الفراعنة ومنها الزركية التي غُثر عليها روزليتي في الأقصر ، وهذا علاوة على الأقنعة والأسلحة وأدوات الموسيقى والزينة والأخرف . وفيها توجد أيضاً النقوش البارزة التي انشُرعت من مقبرة سينويس الأول بمقابر الملوك بالأقصر . كما توجد فيه كتابات من عهد سائوريت الأول فزعون مصر نقلت من معبد بوغن . وفي متحف مدينة البندقية وفي متحف مدينة سان جان دي لاتران آثار مصرية قيمة جدا .

وفي روما مسلات مصرية كثيرة منها : مسلة قاعة في ميدان الأمة ، ومسلة منصوبة في ميدان ماري بطرس ، وثالثة في سان جان دي لاتران ، ورابعة أمام القصر الملكي ، وخامسة في موني شينوري ، وسادسة في ماري جوريبي ،

كان لكل فرع من كل فن ومن كل علم إخصائيون . فالطبيب مثلاً كان له أطباء إخصائيون في طب الزكة .

تجدد في متاحف روما وتورينو ونابولي وبولونيا وفلورنسا وبالرمو وميسينا ، وفي متاحف المدن الإيطالية الأخرى مثل كورتونا وفرارا ورافنا وأستي ونويرانو وكورشنو ودوفيجو وريجيو وسورينشو آثاراً مصرية قديمة من أيام الفراعنة ومن أيام البطالسة ومن أيام الرومان ومن عهد الإغريق ومن زمن العرب . وتجدد في مدينة باري عثاوطيات عمرانية في غاية الأهمية التاريخية والفنية . وتجدد في مدينة سالرنو لوحين مصريين قديمين من الجرانيت ذات قيمة فنية تاريخية كبيرة .

في متحف تورينو هناك إرميسس الثاني ودرجته نرماري ودأهمية تاريخية كبيرة ؛ وفيه أيضاً مجموعة آثار مصرية قديمة نفيسة جدا جمعها مسيو دروفيتي السياسي الإيطالي المعروف ، الذي عينه نابليون فصار جنرالاً لغرسا في الإسكندرية في عهد محمد علي . فجمع في مدة وجوده في مصر مجموعة عظيمة ألحاح بعضها إلى ملك إيطاليا وهي الآن ترين متحف تورينو في إيطاليا ، وباع باقيها إلى ألمانيا ؛ ويوجد فيه جزء من مجموعة بلزوني ، وجزء من مجموعة لائزوني ، ومجموعة ماسار . كما يوجد فيه أيضاً روى كذب في عهد رمسيس الثاني حصل مشغره من بعض أهالي مدينة الأقصر في سنة ١٨١٨ ، مكتوب عليه جدول بأسماء ملوك مصر ؛ ويمتاز جدول هذا البردي على سائر الجداول المعروفة بأنه يبين مدة حكم كل ملك بالستين والشهور والأيام .

وقد أصدر الملك فيكتور إيمانويل الثالث ملك إيطاليا أمراً بتأليف بعثة للتنقيب عن الآثار المصرية تحت رئاسة السليور أرنستو شياپاري على أحد أعضاء مجلس الشيوخ ، فحُضرت البعثة إلى مصر وبقيت دالية على أعمال الحفر والتنقيب عشر سنوات (من سنة ١٩٠٣ إلى

فيه لوحة أثرية مصرية عثروا عليها في أخميم صنعها تحت
مين أول نبي للإله نير إله قنط. وفيه أيضا بردي فيه
مرسومان من عهد الإمبراطور تير الروماني ، و بردي
مشهور باسم « ديلاتس » ، كما توجد فيه مسلة معروفة باسم
لبسيوس ، وهي من أقدم المسلات المصرية عثر عليها في
سنة ١٨٤٠ بالقرب من مذن بجوار أهرام الجيزة .

ولما تولى جمع العلوم في برلين أعمال التنقيب في
منطقة أفي صير عشر في خلال سنة ١٩٠٠ على ملف من
البردي مكتوب عليه ٤٠٠ بيت شعر من نظم تيمونين
أعظم شعراء اليونان ، نقل خفية إلى متحف برلين .

وجمع فون ترافور من قنصل جنرال ألمانيا مجموعة
من الآثار المصرية نقلها إلى ألمانيا . وروت إحدى الساحات
السيدة لي شابلر أن تدرس إحدى قنصل ألمانيا في
الأحمر كان محضر بالآثار المصرية فجمع موميات ومخطوطات
ومجوهرات ، وثلاثين وثمانين ، وباعها إلى السياح الألمان
من قبل ألمانيا ، وسبقو بروكس قنصل روسيا في
مصر جمع مجموعة أيضا أرسلها إلى ألمانيا .

وفي ألمانيا أنشأ الملك فريدريك غليوم الثالث قسم
المتحف المصري بشرام مجموعة الآثار المصرية التي كان
جمعها ميخائيل وباسالاكو وودوفيني وفسلوني ،
وأتمها مجموعة باسالاكو التي اشترها الملك في سنة ١٨٢٨
وتحوى آثاراً مصرية قيمة جداً .

ولما استولى من بعده الملك فردريك غليوم الرابع أرسل
إلى مصر (سنة ١٨٤٢ إلى سنة ١٨٤٦) بعثة لتقوم بأعمال
الحفر والتنقيب في مصر وفي بلاد السودان ، تحت رئاسة
ريشارد ليسيوس ، فجمعت البعثة آثاراً مصرية قديمة كثيرة
جداً نقلها إلى متحف برلين ، منها آثار نادرة رجع عهدها
إلى زمن الدولة القديمة ، ومنها آثار تاريخية من بلاد النوبة .
وفي سنة ١٨٥٨ اجتمع لمتحف برلين نواب فأنشأوا متحفاً
خاصاً بالآثار المصرية ضموا إليه الآثار المصرية التي جمعها
ترافورس قنصل ألمانيا الجنرال والدكتور ديلهاردت

وسامية في ميدان فوشانا دي قبوي ، وأمانة في فيلادلفيا
يرجع تاريخ صنعها إلى عهد رمسيس الثاني ، وتسعة في
مهداب سانت ماريا جيودي ، وعشرة في ميدان
مينيرا ، وهي مسلة صنعت في عهد أحد ملوك الأسرة
الثالثة والعشرين وقد نقلت من مصر إلى إيطاليا في عهد
الرومان وكانت ترن ميدي إيزيس وسيرايس ، والحادية عشرة
منصوبة في ميدان نافونا ، والثانية عشر في مونتني كافالو .
وتوجد مسلة في كالابيا (جزيرة سيسليا) وأخرى في
بلدة بينيفنتو ، وستان أخريان في القسم المصري من
متحف فلورنسا وهما من عهد رمسيس الثاني ، حتى إن أحد
أهالي فلورنسا اسمه بوبولي زين جنية بيته بأثار مصرية ،
منها مسلة من عهد رمسيس الثاني كانت منصوبة في
هليوبوليس ونقلت إلى إيطاليا في عهد الإمبراطور
الروماني كلوديوس .

ولما زار الأرشيديوك ميكسميليان النمساوي (وهو
الذي نصبوه إمبراطوراً على بلاد النمساك) النمسا
التيوار ريكيا بالزاهي (القطر المصري في سنة ١٨٥٥)
أخذ مجئنا لوجه الله جميع الآثار التي تشبهها مسلة ،
واستولى على طائفة كبيرة من أفضل الآثار نقلها إلى
قصره « ميرامور » على مقربة من تريستا ، وهي الآن ترن
متحف فيينا (عاصمة النمسا) .

وجمع مستر هيرز قنصل جنرال دولة النمسا مجموعة من
الآثار المصرية ونقلها إلى نلافان .

وفي متحف أجمام (بالنمسا) توجد آثار مصرية ، كما
توجد في متحف فيينا أوراق بردي كثيرة .

وفي متحف برلين توجد رأس الملكة نفرتي زوجة
الملك أخناتون ، وهي آية من الآيات ، وصفاها حياة الآثار
من أجل الآثار المصرية القديمة . كما توجد فيه بعض
(الألواح المسطحة) المعروفة باسم « رسائل تل العمارنة »
وهي رسائل تبادلها فرعون مصر أمنمونس الثالث مع ملوك
سوريا في القرن الرابع عشر قبل ميلاد المسيح ؛ كما توجد

والأستاذ بور هارمت وغيرهم . ثم زاد المتحف بالآثار التي أهداها إليه الدكتور جيمس سيمون ، والمستشار بوليس أرتاك ، والأستاذ رودلف مرس ، والأستاذ شوانيفورت ، والأستاذ ليفترو من إدارة لوبك ، ومن جمعية التنقيب المصرية الإنجليزية ، ومن الأستاذ فلندرس ييتري ، والأستاذ مارتين كنفارد . وبعض آثار جاءت المتحف من قبيل الوصايا . مثل وصية الأستاذ سيرنجر والدكتور دايل .

وبقيت آثار المتحف تزداد سنة بعد سنة إلى أن تولت اللجنة الألمانية الشرقية أعمال الحفر والتنقيب فأهدت إليه آثاراً كثيرة جداً ، منها آثار جمعتها من منطقة أبي صير . وتهد آثاراً قيمة أيضاً في متحف مدينة درسدن (بألمانيا) . وفي متحف مدينة ميونيخ (بألمانيا) ، وفي متحف مدينة كارلسمروه (بألمانيا) ، وفي متحف مدينة فرانكفور (بألمانيا) .

وكانت الحكومة الإيطالية والحكومة الألمانية والحكومة النمساوية ترسل بعثات إلى مصر تعمل حفريات فيها واستخراج ما في بطن أرض مصر من نجيب وأثر ، وبعد العثور عليها تدرجها إلى إيطاليا وألمانيا والنمسا ، كما أن بعض الجامعات الإيطالية والألمانية والنمساوية كانت ترسل بعثات على نفقتها الخاصة لعمل حفريات ، مثل معهد العلوم برلين ، وكلية لايبسك (بألمانيا) ، وكلية كوتنجن (بألمانيا) وجمع العلوم بفيننا (النمسا) ، وجمعية البردي (بإيطاليا) . كما أن بعض الناحف مثل متحف باك (أفري) أرسل بعثة لعمل حفريات في مصر ، وما عثر عليه نقله إلى متحف بودابست (عاصمة المجر) .

لم أتمر على إحصائية بعدد الآثار المصرية الموجودة في إيطاليا وألمانيا والنمسا والمجر واليابان . في المتحف البريطاني بلندن يوجد ٦٠٠٠٠ أثر (حسب إحصائية سنة ١٩٣٠) عدا ما هو موجود في المتحف المصروصية التي كان يملكها كبار أعيان الإنجليز . وفي متحف اللوفر بباريس أكثر

منها ، وربما وصل عدد الآثار الموجودة في فرنسا مائة ألف . وفي المتحف الملكية ببروكسل (بلجيكا) يوجد ٦٦٣٠ أثر ، وإذا أُضيفت إلى الآثار الموجودة في المتحف البلجيكية الأخرى بلغ عددها ١٠٠٠٠٠ . والذي أرجحه أن عدد الآثار الموجودة في متاحف إيطاليا وألمانيا والنمسا والمجر يزيد على ٨٠٠٠٠٠ أثر قيمتها في قيمتها لا في كمها . في كل أثر من هذه الآثار صفحة من تاريخ مصر القديم ، ومجموع هذه الآثار يؤلف أكبر موسوعة لتاريخ مصر القديم . فلم لا تنهر فرصة انتهاء هذه الحرب وانهازم ألمانيا وإيطاليا واليابان وطلبهم برد الآثار المصرية القديمة وهي جزء من تراثنا وجزء من تاريخنا ، كما اتهمنا فرصة انكسارهم في سنة ١٩١٨ وحصلنا على إلغاء الامتيازات الأجنبية . لهذا نداء أوجهه إلى أولى الأمور منا . وفقط الله لما فيه خير مصر والعريقين .

عزرا هانكي

مناصب امتياز الحق

رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

....

رئيس تحرير الشؤون

محمد عبد الوارث خديف

٢٥ في مصر والسودان

٣٧/٥ محطة ومبنى الإذاعة

٦٠ في المراكش والمغارة ضمن اتحاد العرب

٧٥ في المراكش المقررة عن اتحاد العرب

تم بالسند ١٥ مايو

الموشر

لست أشهر

صفحات مطوية من التاريخ المأمون :

٢ - البلغار المسلمون

ثم يقول ابن فضلان :

« وقد كان يخطف له قيس فتومنا لهم أصالح الملك بالسكوار ملك البلغار . فقلت له : إن الله هو الملك . ولا يجوز أن يخطف بهذا أحد . سجا حتى التاجر . وهذا مولاي أمير المؤمنين قد وصي نفسه أن يقال على مناره في الشرق والغرب : اللهم أصالح عبيدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين . فقال كيف يجوز أن يقال ؟ فقلت يذكر اسمك واسم أبيك . قال : إن أبي كان كافراً ، وأنا أيضاً ما أحب أن يذكر اسمي إذا كان الذي سمى له كافراً . ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين ؟ فقلت جعفر بن محمد . فيجوز أن يسمى باسمه . فقلت نعم . فقال : فسمي جعفر بن محمد . وأسم أبي عبد الله . وتقدم إليهم المظلي بذلك . فكان يخطف اللهم أصالح عبيدك جعفر بن عبد الله أمير بلغار مولاي أمير المؤمنين » .

ومما ذكر ابن فضلان من المشاهد الطبيعية أنه رأى البلد عند طلوع الشمس يحمر كل شيء فيه : من الأرض والجبال وكل شيء . ينظر الإنسان إليه ، وأن الشمس تطلع كأنها غمامة كبيرة فلا تزال الحرة كذلك حتى تنكبد السماء . وقال : إنهم يبركون بواء السكب جداً ويبدونه بشري بالخصب والسلامة .

وهذا خلاف ما رآه المصريون في عواء السكب فهم يشأمون به . وذهب أنه رأى الحيات مدمم كثيرة حتى يلتصق على القمص من الشجر عشر منها وأكثر ولا يقتونها ولا تؤذيهم .

ووصف شجراً هناك يشبه النخل يستخرجون من

ساقه ماء ملوا بسكر إذا أكثر منه الشارب .

ثم قال : « وأكثر أكلهم الحاموس ولحم الخيل . على أن الحنطة والشعير كثير في البلادهم . وكل من ذرع شيئاً أخذ لنفسه ليس الملك فيه حتى ، غير أنهم يؤدون إليه من كل بيت حلة ثوب . وإذا أمر بركة القارة على بعض البلدان كان له منهم حصه . وليس عندهم شيء من الأدهان غير دهن السمك فليهم يقتنونه مقام الزيت والشحج . وكلهم يلبسون القلاص ، فإذا ركب اللق ركب وحده بغير غلام ولا أحد معه . فإذا اجتاز في السوق لم يبق أحد إلا قام وأخذ قلسوته من رأسه وجعلها تحت إبطه ، فإذا جاوزهم ردها فلاتهم فوق رؤوسهم . وقد ذكر بعض الأحوال الفلكية في تلك البلاد ، وكان هذا موضع المصباح في البلاد الإسلامية الأخرى . قال :

« دخلت أنا وحياتيما كان الملك من أهل بغداد فبقيت في بلد . فحدثني عندهم ساعة ونحن ننظر أدنى الأشياء . فإذا الأذان يخرج منا من القنفذ طلع النجم . فقلت المؤمن أي شيء . أوت ؟ قال الفجر . قلت فمشاء الأخير ؟ قال يصليها مع المغرب . قلت كليل ؟ قال : كما ترى وقد كان أقصر من هذا ، وقد أخذ الآن في الطول . وذكر أنه منذ شهر ما نام الليل خوفاً من أن تفوته صلاة الصبح ، وذلك أن الإنسان يعجز القدر على التاجر وقت المغرب ، ثم يصلي القعدة وما أن لها أن تنصحب . ورويت النهار عندهم طويلاً جداً . فلما كانت الليلة الثانية جلست فم أر فيها من السكواب إلا عدداً يسيراً فقلت أنها فوق الحصة عشر كوكبة متفرقة ، وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب البتة ، وإذا الليل قليل الظلمة برف الرجل الرجل فيه من أكثر من غلوة منهم . والقمر إذا طلع في أرجاء السماء ساعة ثم يطلع الفجر فيغيث القمر .

قال ابن فضلان : وعرفني أهل البلد أنه إذا كان

- ٧ -

وعنه الملكة التي ابتدأت تاريخها الإسلامي في أوائل القرن الرابع الهجري استمرت بعد إسلامها أربعة قرون تدافع عن نفسها الأم المجاورة لها ، والتتار القادمين من الشرق .

وقد خلف جعفر بن عبد الله أول الترك المسلمين أباه أحمد ، وأمه الذي عمه السمودي إذ قال عن الأمير جعفر إن ابنه صبيح ، وقدم بغداد وقوبل بالحفاوة . ثم خلف أحمد ابنه طالب ، وقد عمر على سكة ضربت باسمه في بلقار سنة ١٠٣٨ هـ . ثم توالى الأمراء على ذلك . ووقعت واقعات بينهم وبين الروس وغيرهم من مجاورهم إلى أن كانت غارت التتار الكبرى ، فسارت التتار القرية محاربتين حتى بلغوا بلقار أواخر سنة ١٢٢٠ هـ . ويقول ابن الأثير : **قلب صبيح أهل بلقار بفرهم كمنوا لهم في عدة مواضع** **وأجبرهم إلى أن يحدوا مواضع الكهنة يخرجوا عنهم ،** **وأخذهم السيف من كل ناحية فقتل أكثرهم ، وسارت** **فيهم مشقة .** وانصلت الطرق بين بلقار والبلاد الإسلامية بعد أن قطعتها التتار حيناً .

ثم عاد التتار إلى القرب واضطر البلقار إلى مصالحتهم والدمول في طاعتهم سنة ٦٥٣ هـ . وتقلبت بهم الأحوال من بعد حتى سنة ٨٣٤ هـ . ثم لا تذكر التواريخ المعروفة بلقار بعد هذه السنة ؛ ويطن بعض المؤرخين أن الروس استولوا عليها بعد نضال طويل .

وزوال مملكة البلقار لا يدل على زوال الأمة ، فقد بقيت هذه الأمة المسلمة في موضعها بين القلجاء وجيل أورال حتى اليوم . ولكن قلب على معظم هذه البلاد اسم قرآن بدل بلقار ؛ ولذلك حيناً أعلنت مدينة قرآن مكانة مدينة بلقار في السياسة والحضارة .

جبه الوهاب عزام

المكتسوبة على سكة إسلامية ترجع إلى العصر العباسي ، وفي هذا دليل على بلوغ الحضارة الإسلامية هذا الصقع . وكان أكثر ما يجلب من البلقار وبساطتها ، الفراء الثمينة والجلود .

وكان أخذ أهل بلقار العلم والدين من أقرب الأقطار الإسلامية إليهم ، بلاد ماوراء النهر .

وقد حفظ التاريخ أخبار طائفة من العلماء نشأهم بلقار ، ولكنها ليمدها إلى الشمال ونظرها لم تسجل أخبارها وأخبار أهلها كثيراً في كتب المؤلفين المسلمين ، وكانت بلاد ماوراء النهر أكثر الصلاحيات لأهل أقرب إليهم .

وقد عرفت أخبار بعض العلماء الذين رحلوا إلى بلقار ، منهم أبو عبيد الله القرطبي صاحب تحفة الألياب ، وقد رويت عنه أخبار من الباشقر والبلقار . وكتابه محفوظ في دور الكتب بالآستانة . وكانت وفاته حوالي سنة ٥٣٠ هـ .

وسمى أبو حامد الأندلسي صاحب كتابه **البلقار** في عجائب المخلوقات ؛ دخل بلقار سنة ٥٢٩ هـ وتلف كتابه يعقوب بن النعمان .

ومنها ابن بطوطة ، وقد قدمنا ما قال من رحلته إلى بلقار .

وعن حط التاريخ أخبارهم وحرف من أخبارهم ، ومن علماء هذه البلاد ، يعقوب بن النعمان قاضي بلقار وقد ألف تاريخاً لها ؛ ولكن تاريخه مفقود اليوم . وقد تقيه أبو عبيد الله القرطبي كما تقدم ، وقل عنه أبو حامد الأندلسي وعدة من أصحاب إمام الحرمين . توفي حوالي سنة ٥٥٠ هـ . ومنهم الشيخ سليمان بن داود السبكي ؛ ألف كتاباً في الوعظ بالفارسية سماه بهجة الأنوار ، ثم عمّاه وزاد عليه وسماه زهره القلوب المراض .

وسمى الشيخ رهان الدين البلقاري شارح فصول الفسق في علم الحد .

سيرة سيف بن ذي يزن

وهذه سيرة من سير الأدب العربي الشعبي بشرت بالإسلام في الجاهلية وعرضت المسئلة السامية الحامية ، في كل جزء من أجزائها السبعة عشر ، وهي تلج على القارئ في وجوب الاعتقاد بأقدمية الإسلام وأفضلية نسل سام . وقد اعتمدت في تأييدها للفكرة الأولى على ديننا الحنيف وتعاليمه القائلة بأنه قديم ، وأنه ملة إبراهيم . كما أنها عند تفضيلها لساميين على الحبشيين استكثرت التاريخ ، واستلهمت المصوّر ، واستخدمت مختلف وسائل الدعاية . ولأمر مابدأ السيرة خواتمها بالكلام عن الملك الحميري اليماني ذي يزن الذي دأب عليه ، واشتهر أمره ، ودانت له بلاد العرب الجنوبية ، واتخذ له دوراً حكيماً ، فعلا صدقه السيرة بأنه لا نظير له في ملوك الأرض ولا في ملوكها . وكان اسمه (يرب) ، وكان مطلقاً على كثير من الحكام القدسة والألام المنظمة بما فيها الملوك الساميين والحبشيين إبراهيم الخليل . وقد علم (يرب) أن في تلك الأوقات في دنيا اسمه بعد سيظهر الإسلام ، ويطلق سائر الأديان التي لأهل الكفر والظلمان ، ومن ثم تأخذ السيرة في عرض الملاقات بين جنوب الجزيرة وشمالها بأسلوب قصصي فسك ، وفي صورة جذابة ، فعن يرب الملك ذا يزن بعد العدة واهول الجيوش ويسير هو على رأسها إلى الشمال محاربة الملك (بعليك) ، ولم تكن جيوشه تصل إلى بيت الله الحرام إلا ويظهر ذو يزن وغيبته في هدم الكعبة وقتلها إلى اليمن ^(١) ، فوقفتم رب البيت منه ، وبسط عليه مختلف الأمراض التي أثبتته عن عثرته . وعلى أثر هذه المعجزات

يعتق هو وجيشه الإسلام ، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن إبراهيم خليله ، ويكسو الكعبة . ثم نجد الوزير (يرب) الذي كان يدين بالإسلام سرا يعلن إسلامه ، ويرجو الملك أن يسمح له ببناء المذبة التي أطلق عليها اسمه ، وذلك لأنه قرأ في كتب المتقدمين أيضاً أن هذا سبهاجر إليها . وبعد أن يفرغ ذو يزن من أرض الحجاز نزاه يتجه شمالاً إلى بعلبك ويسقط سلطانه ، ومن ثم ينتقل إلى أرض الحبشة والسودان ؛ وهنا تنتهي حقيقة حدود مناطق الفتوة العربي الجنوبي ، فالنفوس التي عثر عليها رجاء اللغات السامية سواء في بلاد اليمن أو على طول الطريق التجاري للتمدن من جنوب الجزيرة إلى شمالها مارا عمكة وقرن ومدائن صالح ونياب ونبوك ومعان ودمشق ، وكنتاك في بلاد الحبشة ، ثبت أن تلك البقاع كانت يومها عاصمة لعمود التجاري أو الثقافي أو السياسي الحميري . سكن في الحبشة والسودان يرى السيرة تنجو نحواً عجيباً ، وهي صالحة للدمج بين الإسلامية والسامية ببعضها مخرجا منها ، على يده أن كانت لا تنمي إلا بالإسلام وأقدميته أخذت تتحدث عن آساميين والحميريين ، فترى الوزير يقول مخاطباً ذا يزن :

وجئت بت الله خيراً من ركش

بحير عيب الناطرين مرفعة

وساعدني حتى بنيت مدينتي

سهاجر فيها سيد الأرض والسماء

ويظهر دين الحق شرقاً وغرباً

فيا فوز ذلك العصر من كان مسلماً

إلى أن يقول :

هنا ملوكا يملك الأرض كلها

يكن حبيبوا تسمياً ومسلماً

(١) يذكر ابن هشام وابن السكيتي وتأييدها لفتوح السامية على أنه كانت في الجزيرة العربية كميات أخرى غير كمية مكة كمكة تحران واليمن وسنداء بالعراق .

بدعوة نوح داعيا كل أسود

للأولاد سام نايين وحدا

وعرض السيرة بعد ذلك فشرح دعوة نوح هذه كما
روىها أبو العالى راوى جيرة الأمصار ، وسائق النيل من
أرض الحبشة والسودان إلى هذه الديار : فهو يقول : إن
نوحا عليه السلام قام مرة وكان سام قاعدا عند رأسه وحام
تحت رجله ، فهب الهواء وكشف عن عورة نوح ، فضحك
حام وغضب سام ، ونشاحي الانان ، فاستيقظ نوح
واستطاعهما الخير ، فغضب عليه سام ما فعله حام ، فغضب
والدهما غضبا شديدا ، ودعا على حام بسواد البشرة ونحى
لقرينه استبعاد نسل سام لها . وفي موضع آخر نقرأ كيف
هاجر حام إلى إفريقية وكيف تزوج (فر شاهق) بنت الملك
(كركار) ، ومن ذريتهما انحدر المنتصر الحامى الأسود .

فهذه الفكرة التي نتحدث عنها السيرة أعني أن الحاميين
إخوان الساميين هي فكرة صحيحة ، حتى إن علماء الأديان
واللغات يطلقون على الأسرة التي تنتمي إليها الأتولوم
أو لغاتهم الأسرة السامية الحامية : كما أن لغتهم
العريضة هي الوطن الأصلي للساميين والحاميين صحيح
لا غبار عليه . أما هذه العداوة التي نجد سداها في مواضع
كثيرة من السيرة ، والتي قرأنا شيئا منها في شعر يثرب وفي
دعوة نوح ، وفي قول شامة بنت الملك الأفرقي أفراح :

عسى الصبور يهدي إلى نسل حام

بنالوت عزا بقدر مهلب

عسى بطشة الدهر في نسل سام

يصيروا في الناس مثل الكلاب

فتفسرها هذه الحروب الطاحنة التي قامت بين
الساميين من ناحية وبين الحاميين من ناحية أخرى ، أعني
بين العرب والحش والحدود . فالمصادر التاريخية التي
بأيدنا سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية تحدثنا عن

كثير من هذه الحروب التي اتخذت أشكالا مختلفة ، فهي
طورا دينية وطورا استعمارية ، وطورا تقتصر على الساميين
والحاميين ، وطورا تمتد إلى العنصرين إلى التزوج
والأوربيين^(١) . وإن كانت السيرة حريصة المحرص كله على
ألا تعرض للتزوج الأخير منها لعدم اتصال بالعصر الذي
تقبل إلى تصويره لنا ، أعني العصر الجاهلي . فالسيرة في
حديثها عن هذه الحروب تفتن في عرض الحياة وأعمال
البطلان ، وهي صادقة في هذا العرض إذا اعتقدنا أن هذه
السداجة ترجع إلى عصر متأخر لا إلى ماضور سابقة
للإسلام أو المسيحية . فسيف بن ذي رزن ، الذي ولد
لأبيه في إفريقية ، والذي لقب بوحش القلعة ، والذي أتى
في ساء بأعمال كثيرة تدل على بطولته وشجاعته ، والذي
أنيط إليه مؤلف السيرة الدور الرئيسي ، شخصية تاريخية
لا نعرف الكثير عنها ، فهو الأمير الحملي الذي قاد الجيوش
العربية الحربية وطرد الحبش من بلادهم بمساعدة الغرض
عام ٥٧٠ م . وقد تحدث ابن هشام عنه وذكر لنا الكثير
من الأفعال التي تنسب إليه أو قيات فيه . ولم نغف شهرة
هذا القائد العظيم عند هذا ، بل تراه جدا للأسرة الحاكمة
في (يوتو) وبطلا من أبطال قصص سكانها .

ولكن بينما نجد مؤلف السيرة يختار سيف بن
ذي رزن قائدا للساميين ، إذ به يستدعي زعماء الحامين إلى
ملك حبشي يدعى (سيف أرعد) ، فكانت في اختياره
لشخصية الثانية غير موفق ، وذلك لأن التاريخ الحبشي
ينص على أن (سيف أرعد) هذا حكم البلاد فيما بين عامي
١٣٤٤ - ١٣٧٢ م ، أعني في القرن الرابع عشر ، بينما سيف

(١) في حوال منتصف القرن السادس عشر تمكن القائد
الحبشي المسلم أحمد إبراهيم من حزيمة الحبشيين من نخاعي الحبشة
وهما (أبنا دحل) وأب (تكدوبوس) فاستعان الأخير بالفرنسيين
الذين أرسلوا حملة تحت قيادة (كرزيف داجيل) أيدت من
آخرها (رابيع مثالا في حلال ديسمبر ١٩٣٥) .

٢ - السجون في مصر

في العصور الوسطى

وقد ورثت القاهرة الملكية هذه السجون الثلاثة ، وبقي كل منها على ما مورثته حتى أمر السلطان الملك فلاحون الثاني بهدم جدران العوطة ، وبغال في صدد ذلك أنه لما أصبح فلاحون من جملة الأمراء الظاهرية ببيروت ، صار يمر من داره إلى قلعة الجبل على جدران العوطة هذا ، فيشتم منه رائحة رديئة ، ويستمع منه صراخ المسجونين وشكواهم الجوع والعري والقمل ، فجعل على نفسه إن استقامت له السلطنة أن يبنى هذا الجدران مكانا حسنا ، فلما آلت إليه سنة ٦٧٩ هـ (١٢٨٠ م) هدمه وبني موضعه سوقا أسكنه بيهاى العنبر (الكازم) الذى تسمى منه فلائذ النساء والسابع ، وصاحه سوقى العنبرين : وكان ذلك سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) . وقد ظل هذا السوق مشهورا بتجارته حتى ثلاثى أمد ، وحل محله أخيرا محروقة الدكاكين التابعة لوكالة بقوق ، بالة الغربية الحالية ، كما تقدمت به الإشارة هنا .

غير أنه لم يكبد السلطان فلاحون ينتهى من هدم جدران العوطة حتى ابتداء فى بناء سجن جديد سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) ، وهو الحب بقلعة الجبل ، بالجبهة الشرقية من المحوش الحالى منها^(١) ، حيث توجد الآن نكتات الجدران المرسى ، وقد خصص الحب هذا للسجن الذين يقضى السلطان نفسه - قيا يظهر - بسجنهم من أمراء المائليك ، وكان سجننا مهولا مظلمة كربة الراحة ، فتمكنه الطواغيط ، ويقاسى المسجونون فيه ما هو كالنور أو أشد

(١) هذا التحديد منقول من مذكرات خاصة لصاحب العزة محمد رمزي بك ، ومنها أيضا جميع ما بهذا اللال والقال السابق من تحديد لمواقع السجون بمصر والقاهرة ، وأى مبدا هنا يشكر صديق العالم الكبير بآلاد المصرية وآثارها ، لا بدنى به دائما من معلومات دقيقة يرجع فضلها كله إليه .

منه . وإذا فقدت القاهرة الملكية تحتوى على ثلاثة سجون مرة أخرى ، ما عدا أن منها اثنين سياسيين ، وهما خزنة البنود والحب ، وواحد للذين يجب عليهم عقوبة الإعدام ، وهو خزنة شمائل . وليس معنى ذلك عقلا أنه لم يند هناك سجن لأرباب الجرائم العادية ، أو أن أولئك صاروا قلة لا تستحق سجننا خاصا ، بل معناه - أكبر الظن - أن تلك السجون وغيرها من السجون فى مصر فى العصور الوسطى لم تخصص تخصيصا دقيقا بحسب أصناف المجرمين ، وأنه كان من المعتاد أن يحتوى السجن الواحد على المجرم العادى ، من سارق وباح ومعتد أقيم ، إلى جاني السياسى الخارج مجاهد أو أطاعه الخافعة عن طاعة السلطان ، أو أنه كان بالقاهرة الملكية فوق سجونها الثلاثة سجن رابع فعلا ، لأرباب الجرائم العادية مثل سجن الدم ، وهو السجن الذى أوردته القبرزى فى قصيدته بخردا عن شرح أو وصف أو تعريف بأصل أو كيفية

تمت هذه السجون القاهرة لفة واضحة زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، إذ ذكرهم سجن الحب بأمره بناء على إشارة الأمير بكتر الساقى سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م) ، ومحموت موضعه طباق (نكتات من دور واحد) لثلاث المائليك ، ونقلت بحايسته إلى بعض أراج القلعة . وقد فعل السلطان ما يشبه ذلك بسجن خزنة البنود ، إذ أسطردن السجن به وحسوله إلى منازل للأسرى من الفرنج وغيرهم ، يقيمون فيها بأولادهم وأهاليهم . غير أنه يظهر أن أولئك الأسرى قد أسادوا استعمال تلك المنازل - على حد قول القبرزى - إذ نجسها بها ببيع الخمر وشربها ، واستغلوا بحايته من يدخل إليهم من أرباب الدون والجرائم ، حتى ضج بهم الميزان ، ومنهم الأمير الحاج آل ملك الخركندار ؛ فلما صارت نيابة السلطنة إلى ذلك الأمير سنة ٧٤٤ هـ (١٣٤٣ م) ، فى عهد السلطان إسماعيل بن الناصر محمد ، كان أول ما بدأ به أن هدم خزنة البنود هدمًا

جامع المؤيد للشهور سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) - على أنه احتاج إلى سجن جديد لأصحاب الجرائم بدل خزانة شمائل، فبنى لذلك سجن القشرة قرب باب الفتوح الحالي، فيها هو الآن قراة سيدي السامح، شرقي جامع الحاكم بأمر الله. وقد عُرف سجن القشرة بذلك التسمية نسبة إلى دار لقنسر القمع كانت في موضعه قبل بنائه، غير أنه سرعان ما بطل استخدامه لسجن أبواب الجرائم سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م). إذ كثرت الشكاوى بما يلاقيه الساجين به من شدة الضيق وكثرة النهم - على حد قول القرزى -، فتقرر إغلاقه تلك السنة، وفتح سجن الرحبة مرة أخرى. ثم تبين أن سجن الرحبة لا يصلح - أو لا يسع - ما هنالك من الساجين، فأعيد استخدام القشرة مرة ثانية، وظلت هذه سجن لأصحاب الجرائم إلى أيام استيلاء العثمانيين على مصر. ومعنى ذلك أن السجون الكبرى بالقاهرة لم تعد اثنين في وقت من الأوقات منذ أيام السلطان الناصر بن علاوي، وإنما لم يرد على ثلاثة في أي زمن من الأزمنة السابقة لذلك العهد.

يشهد عن تلك النتيجة الاستقرائية عدد من المحوس والسجون التي ترد أسمائها في نهاية المراجع دون تدليل كاف يستعين به الباحث على إدماجها تحت نوع من الأنواع المتقدمة، مما يرجح تسميتها بسلطات غير السلطات التي تقع السجون السابقة تحت نظرها؛ ومن هذه سجن الدليم الذي سبقت الإشارة إليه، وموضعه دار التتوي ودار العاريجي وسائر المساكن الواقعة الآن على جانبي زقاق السباعي الخارج من شارع المقادين، وقد ظل مستعملاً للسجن حتى أوائل أيام عهد علي الكبير في مصر؛ ومنها أيضاً حبس الحجر، وهو خاص بالنساء، وربما كان تابعاً للمحبس؛ وكذلك حبس وإلى الطوف، وهو سجن مؤقت لمن يقضى هذا الوالي في أمره بصفة مستعجلة حتى يطلع النهار. وهناك أيضاً سجن الخزانة السلطانية بالقلة، وهو سجن طائري، عمله الأمير منطاش لسجن

تماماً، أي أنه لم يعد بالقاهرة من السجون الكبرى في أواسط القرن الثامن الهجري (أواسط الرابع عشر الميلادي) سوى سجن خزانة شمائل وسجن أراج القلعة، وهذا للجرمين الواقفين تحت طائلة القانون العام، وذلك لأرباب الجرائم السياسية.

ومن بعد تلك القلة الملحوظة في عهد السلطان الناصر، أخذ عدد السجون يقطر بين زيادة ونقص على قدر الظروف. فاستجد سجن الرحبة، الذي جعله الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار بقصر الحجازية الشهور، وموضعه الأرض التي تشمائل الآن مباني إدارة دمنة الصوغات والموازين والكاكيل ومبنى بيت المال القديم. وكان هذا الأمير قد أصبح، منذ سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٤ م)، الشخصية الكبرى في عهد السلطان فرج، وانضمت سلطاته ونفوذه، وتعددت وظائفه، بحيث صار في معنى ما كان فيه الوزير في أيام الخلفاء العباسيين، فأقام ذلك السجن وألحقه في صاحبه من رأى عقوبته أو قتله أو تعذيبه من أعدائه من الأمراء والأعيان، أي أن سجن الرحبة كان سجنًا سياسيًا، أو شبه سياسي على الأقل. على أن وظيفة الأستاذار لم تحمل معها تلك الحقوق القضائية والإدارية من بعد ذلك الأمير فيما يظهر، بدليل^(١) أن سجنه هذا قد أغلق من بعد وفاته سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م). ولم يعبث على ذلك بضع سنوات حتى أغلق سجن آخر، من أقدم سجون القاهرة، وهو خزانة شمائل؛ وقيل بصدد إغلاقه عبارة تشبه في جوهرها ما قيل بصدد السلطان علاون وحبس المعونة بالقاهرة، وخلاصتها - على كل حال - أن السلطان الملك المؤيد شيخ كان قد حبس بخزانة شمائل أيام إمارته، فنذر أن يحمل مكانها جامعاً ومدرسة إذا تيسرت له السلطنة، ووفي بنذره وفاء تاماً في السنة الثالثة من حكمه، ببناء

(١) الدليل القاطع على صحة هذه الدعوى تعريف وطيفة الأستاذار في ابن شاعين: زبدة كشف المالك، ص ١٠٦ - ١٠٧.

حول تقرير معالي وزير المعارف

فتحت الثقافة في مقال سابق مجال التعليق على التقرير القيم الذي وضعه معالي الوزير حول إصلاح التعليم في مصر بعد الحرب . ولابد لسلك من يعلق على هذا التقرير أن يبدأ بالثناء على الحمد الطاهر الذي بذله معالي الوزير في إخراجها ، وأن يشعر بكل الاعتبار لوجود وزراء في مصر يبحثون أمور وزاراتهم بحثاً علمياً عادلاً بأنفسهم ! فيساهمون بالقضاء على الانحلال الحكومي التي ابتلانا بهذا الاضطراب الذي نراه في دوائر الحكومة .

وليس هذا العمل فائحة لحظة جديدة بنهجها الوزراء في مصر وحدها ، بل في البلاد العربية كلها . لأن عيوب الانحلال لا تشكو منها الآداة الحكومية المصرية حسب ، وإنما تشاركها في شكواها البلاد العربية كلها . كما تشاركها في كثير من الأمور الأخرى ... ولذلك سوف نرى البلاد العربية بأمرها تقدر للوزير هذا الفتح الجديد .

وأريد في هذا المقال التوضيح أن أخرج عن معالي الوزير أمراً يحول نظرة البلاد العربية إلى تقريره من مجرد التقرير إلى الاستفادة من الإصلاحات التي سوف يجنيها مصر منه . فعلى الوزير قد حصر بحثه في إصلاح التعليم في مصر ، ولم يذكر

شيئاً عن التعليم في البلاد العربية ، ولم يشر إلى أي ناحية من نواحي التعاون التي يمكن أن تنظم بين التعليم في مصر والبلاد العربية بعد هذه الحرب ؛ ولم يتناول بالبحث مكتب التعاون الثقافي العربي الذي يعلم القوم في البلاد العربية أنه أسس في سبيل هذا الغرض .

ولقد أدى به تحببه الخوض في هذا البحث إلى الامتناع عن ذكر رأيه في أحد الموضوعات القومية التعليمية التي يتطلع إليها العالم العربي بكثير من الاهتمام ، وهو موضوع توحيد برامج التعليم في البلاد العربية ؛ مع أن هذه الفرصة التي تفكر فيها مصر في إصلاح نظام تعليمها وتغير بعض المبادئ التي يقوم عليها هي أسبب الأوقات لبحث هذا الموضوع الخطير .

فهذا الإصلاح الذي شعر الوزير المصري بالحاجة الماسة التي تدعو إليه في مصر ، ليقوم التعليم المصري بعد الحرب على أسس صالحة ثابتة ، بقائه شعور مماثل في كل بلد من البلدان العربية . وهذه المبادئ الإنسانية التي يقدمها في تقريره ستكون أسس الإصلاح المنشود في مصر وحدها ، فإذ لا يمكن أن يصح بعد البحث والمدرس أسساً للإصلاح في بقية البلاد العربية .

ولست أعرف ميداناً للتعاون والتوحيد بين مصر

وبضاف إلى تلك القائمة عدد الحبوس والسجون التي كانت للولاة وللقضاة بحواضر الأعمال المصرية ، وهي التي دُتت عليها عبارة العنوان في وضوح . ثم إنه كان ببعض تلك الحواضر ، مثل دمياط والإسكندرية ، سجون سياسية أيضاً ، يرسل السلاطين إليها من تعذيبهم طقات سجن القاهرة ، أو من تقصى الصلحة بإبعادهم عن عاصمة الدولة إعادة مادياً . وقد اشتملت كبرى الحواضر الشامية ، مثل دمشق وحلب والرقب ، على عدد من تلك السجون السياسية كذلك ، على أن هذه لا تدخل في نطاق هذا المقال .

محمد مصطفى زيادة

مما يليك السلطان رفوق بعد خلع سنة ٧٩٠هـ (١٣٨٨ م) ، وقد أتى ذلك السجن عند عودة رفوق إلى السلطنة ؛ وكذلك سجن البحرة بالقلعة ، وكان مخصصاً لاحتقال من يتبع من السلاطين ؛ وأخيراً سجن الرودخانه ، وقد اختار القرزى أن يصفه بأنه « أرفع السجون قدراً » ، لقصره على أمراء المائيك دون قبيهم فيما يظهر ، وكان الموكل به فضلاً عن شؤون وظيفته أمير جاندار . فإذا أراد السلطان تقرير أحد من الأمراء على شيء خطير ، أو أمر يقتله بذنب قبل أن يستفحل أمره ، أرسله إلى ذلك السجن ، حيث لا تطول مدته ، بل يقتل أو يخلى سبيله .

أن تأخذ بها في تعليمها كما تعتزم أن تأخذ بها مصر ،
 إن من يطلع على التقرير يلمس فيه من التقارير
 والأبحاث الأمريكية والأوروبية التي استشهد بها الكتاب ،
 قوة الاتجاه في أمريكا وانجلترا وفي جميع البلدان الديمقراطية
 إلى التقريب بين مبادئ التعليم فيها ، وتوحيد ما وسعت
 الظروف والأحوال هذا التوحيد ؛ ويرى إلى جانب ذلك
 رغبة شديدة بين هذه الدول للتعاون تعاوناً وثيقاً في هذا
 الميدان التعليمي في نواحيه العنوية والمادية ، حتى أنها
 تفكر في تأسيس هيئة دولية تتولى تنفيذ هذا التعاون .
 وهذه الروح التي تسود الدوائر التعليمية الأمريكية
 والأوروبية أحسبها أن تسود الدوائر التعليمية المصرية
 والسورية واللبنانية والعراقية ، وكلها في حقيقة الأمر
 دوائر أمة واحدة . ولست أدري لماذا سكنت معالي الوزير
 عن هذه الناحية في تقريره .

ولكن هذا السكوت لا يحول في شيء دون المبادرة
 إلى العمل السريع . فأرجو معالي الوزير أن يبدأ الخطوة
 الأولى في هذا الطريق بالدعوة إلى المؤتمر التعليمي العربي الأول ؛
 هذا المؤتمر الذي ينتفع جداً باستقلال الجهود التعليمية
 في البلاد العربية عن بعضها ، ويسير بها نحو الاتصال
 والتوحيد الذي تقتضيه القومية العربية المشتركة بينها .

حسن صعب
 ليسانس في الآداب
 من جامعة فؤاد الأول

والبلاد العربية أخصب وأسلم من هذا الميدان الثقافي
 التعليمي . ولقد ظهرت بوادره منذ عدة سنوات ، حين أحس
 مكتب التعاون الثقافي بين مصر والعراق وأخذ ينظم
 انتداب الأساتذة المصريين لمدارس الرافدين . ولكن
 التعاون الثقافي بين مصر والبلاد العربية لا ينبغي له أن يقف
 عند هذا الحد ؛ فالحياة الثقافية المشتركة في البلاد العربية ،
 وهذا الاتجاه القوي الذي يدفع بها بقوة إلى الوحدة ، يتطلبان
 عملاً أوسع وأعمن من ذلك في ميدان التعاون الثقافي .
 إنهما يتطلبان مواجهة فكرة توحيد برامج التعليم في
 البلاد العربية مواجهة عملية ، ترسم الخطة للسير بهذه
 البلاد نحو برنامج تعليمي واحد للمستقبل القريب أو البعيد .
 ولا أعتقد أن أفضل هنا ما أقصد إليه ، وما أفهمه
 من توحيد برامج التعليم في البلاد العربية ، فهذا موضوع
 لدراسات قومية تعليمية ملوثة . وإلى أعظم فرصة درس
 هذا التقرير الإصلاحى الجديد في مصر لأؤكد أن بين
 البلاد العربية من التشابه في كثير من المشاكل التعليمية
 ما يؤهل الإصلاحات المقترحة لأن تصبح إصلاحات عربية
 لا إصلاحات مصرية غريب .
 ولوصول إلى ذلك أقترح على معالي الوزير أن يدعو
 وزارات المعارف في البلاد العربية إلى مؤتمر تدرس فيه
 حالة التعليم فيها ، وتعرض حاجاته ومشاكله ؛ ويدرس إلى
 جانب ذلك التقرير ، وما فيه من آراء تستطيع البلاد العربية

أخفى المزمرة صحيفة

أهديك أشواقى وعساك والياك في صحة وهناء .

حادثتى بلقونيا منذ أربعة أيام من الإسكندرية ، وفلاجانى بغير عودة زوجك للطريق القويم بعد أن شاهدت
 معك فيلما في سينما الكوزموجراف . وبدون أن أخبر زوجى بموضوع عادتنا وتصيحتك لى بالذهب لرؤية هذا الفيلم ،
 ذهبت وإياه إلى سينما الكوزموجراف وعش وشاهدنا الفيلم . فإذا به لم يتمالك نفسه من الضحك العالي وقال لى بصوت
 عال : أما إكرام هانم دى صحیح شاطرة ؛ لأنها عرفت أن تصالح زوجها . فهمت له فى أذنه : تعب أحمل لك
 زى ما حملت فى جوزها حسونه بك . ولا ترجع من نفسك باطاقة كده من غير جتان ؟ فأمسك بيدي وقال :
 لا . توبه . أنا لك وأنت لى . وباتت فى وجهه ملامح المطف والحنان .

فلك شكركى يا سميحة على نصيحتك ، ولآسيا ولأبطال فيلم **أما جنان** ، ولخرجة بركات ، وموزعه بهنا

أعنتك مبردة

تحياتى وامتنانى ما

أَكْف النسيان !..

[أَكْف النسيان كَأَكْف نسيان ، تصالح الحياة ، وتحملها جنة ورافة جد جدد وإجمال !
... والنفس الإنسانية كالأفة ، تطلب من الحب والجذب ، وتترفع من السرور كالتحق بها . وتحمل بالآلام حتى ليكاد العقل يحرم بأن تناقضات الحياة قد ولت لك غير مداد ... وأسكن نية ما يكفل عودتها .. نية ما يكفل جديتها .. ذلك هو النسيان !
وإن أصدق عزاء يقال — إن كانت السكبات ورن حين ظم اللغات .. أصدق عزاء يقال حينذاك « الزمن كغفل بكل شيء » .
... فهذه الحظوظ التي تطوى القرون والأجيال ... حرية بأن تطوى معها أزمان الإنسانية جماء ... حرية بأن تسبح دموعاً ، ما كان يقع في يوم الغفل أن ترفأ .
هذه الأَكْف الناعمة ما تزال تمر برغف ، حتى وحده غفلة تصاريف الزمان . حتى يعود إلى نكرته ، يستغل الحياة من جديد !]

الكر والي

وأجلى حياة صاحبهما الجرح غيبوبة نزعته عن حاضره وماضيه !

تقد تغصهما من الحياة ، فما يتبق له سوى ذلك الشوك الذي يجزهما ، ويجز قلبه عندما يتحسسه في وجعناث اليأس ، وجعاً عاقماً أن تكون دفقة التفاتة قد سكنت سكوت القبر !
... ولكن ما باله يحشى ... ما باله يتخوف أن تسكن دفقة قلبه ؟ !

أبحاث الموت ذلك الذي يضاف الحياة !
أبحاث ضمة القبر ذلك الذي مثل الزحف في لجة القدر !
... إنه ليحشى المجهول ... ولذا يحنى الموت ، وإن كان يتعمد !
ولله ليا أمل — إن كان حقاً يستطيع أن يأمل — أن تصالح يديه لينسى ... يقضى إلى الأبد !

*** ARCHIVE ***

دعاء ..

أحبي أيها الأكف صورة غاصب الحرية من المكسب بالقيد ، وغاصب النعمة من الطارى السكليل ، وما لك القلب من الحب الوهماني !
أحبي صورة الحبيب القادر والصديق الخائف .
أيها الأكف الرحيمة ... هدهدي ذلك الطفل الغرور الذي نكسنت به الأقدار ، على غير ما تأهب منه أو انتظار !
أيها الأكف الناعمة إنك كاليسم ، بيد أنه صنعة الوهوب ، وأنت نعمة الوهب !
أيها الأكف الناعمة .. ما أحوجي إليك . ما أحوج كفى المحضنين بالدماء ، المتناشئين بالأشواك ، ما أحوجهم إليك .. فصالحهما .. صالحهما ، واضطلي عليهما ، واطرحي عنهما الدماء والأشواك !
عبر العزبة الكروالي